مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد01 جانفي2023 ص ص421ـ449
ر س ك و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ك و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

الخطاب الاندماجي لدى النخبة اللّيرالية الجزائرية ما بين 1919ـ1945

The integrationist discourse of the Algerian liberal elite between 1919-1945

صفصاف هواري♦

جامعة وهران01 أحمد بن بلة safsaf.houari@edu.univ-oran.dz

تاريخ الإرسال: 2022/07/21 تاريخ القبول: 2022/10/01 تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص باللغة العربية:

أفرزت السياسة الفرنسية في الجزائرية ظهور نخبة جزائرية ذات فكر وثقافة غربية، اتّخذَت من مبادئ الفكر الليبرالي والثورة الفرنسية من المساواة والحرية والأخوة سلاحا لمواجهة سياسة الإدارة الإستعمارية والمستوطنين الفرنسيين في الجزائر. ورأت أنّ معاناة الشعب الجزائري لا تتمّ إلا من خلال اندماجهم في الأمة الفرنسية. إلّا أنّ الطّرح الإندماجي الذي تبنّته النخبة الليبرالية لم يكن كما أرادت؛ فاختلاف المجتمع الجزائري عن المجتمع الفرنسي فكريا وثقافيا وعقائديا، إضافة إلى الإختلاف الفكري والإيديولوجي لعناصر النخبة الليبرالية، ورفْض الشعب الجزائري الإندماج في أمة أجنبية عنه؛ كل تلك الأسباب أدّت إلى فشل الأطروحة الإندماجية للتيّار الليبرالي الجزائري. وقد تميّزت مرحلة ما بين الحربين بظهور النّزعة الإندماجية لدى عناصر النخبة الليبرالية التي تخرّجت من مدارس فرنسا وجامعاتها، فكان منهم النواب المنتخَبون والأطباء والصيادلة والمتجنِّسون.

الكلمات المفتاحية: النخبة الليبرالية؛ الإندماج؛ النواب المنتخبون؛ المتجنّسون.

Abstract: The policy of the colonial administration and the French settlers in Algeria allowed the rise of an Algerian elite with Western cultural ideologies, who used the principles of liberal thought and the French Revolution of equality, freedom, and brotherhood as a weapon to oppose the policy of the colonial administration and the French settlers in Algeria. Consequently, they thought that the best method to stop the suffering of the Algerian people is to integrate with France. By the same token, the liberal elite's integrative strategy did not receive the anticipated results due to the intellectual and ideological differences between members of the liberal elite and

♦ المؤلف المرسل

the Algerian people's resistance. In the same line of thought, Algerian society diverged from French society intellectually, culturally, and ideologically which led to the failure of the integration. The time between the two wars was characterized by the advent of the integrationist trend among members of the liberal elite who graduated from France's schools and colleges, including elected representatives, physicians, pharmacists, and the nationalized.

Keywords: liberal elite; integration; elected representatives; Nationalized.

مقدمة:

إنّ مِن أهم القضايا البارزة التي أسالت الكثير من الحبر بين المؤرخين هي قضية الإندماج في المجتمع الفرنسي. تلك القضية التي برزت في الجزائر بشكل جلي مع مطلع القرن العشرين، عندما ظهرت نخبة جزائرية ذات فكر وثقافة فرنسية، رأت أنّ حل المسألة الجزائرية يكمن في الإندماج في الأمة الفرنسية والعيش وفق حياة الفرنسيين، والإحتكام للقوانين الفرنسية بدل القوانين الجزائرية المستنبطة من الدين الإسلامي.

كان الإندماج يقابله دفع ثمن باهض؛ ألا وهو التّخلي عن الهوية الجزائرية والإنسلاخ من المجتمع الجزائري المسلم، وهذ وفق ما جاء في قانون التجنيس الفرنسي "سيناتوس كونسيلت1865"؛ والذي اشترط على من يكتسب الجنسية الفرنسية أن يحتكم للقوانين المدنية الفرنسية. ورغم ما يؤول بالمتجنس من تخليه عن مبادئ هويته وابتعاده عن أصوله وتقاليده الاجتماعية؛ إلا أنّه ظهر بعض الجزائريين ممن درس وتكوّن في مدارس وجامعات فرنسية؛ كان مطلب الإندماج عند هؤلاء من أهم المطالب؛ غير أنّهم اختلفوا حول طريقة اكتساب الجنسية الفرنسية؛ بين داع إلى الإنصهار الكلّي في المجتمع الفرنسي؛ حتى لو اقتضى الأمر التخلي عن الأحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين؛ وبين داع إلى الإندماج واكتساب الجنسية الفرنسية لكن مع الحفاظ على مبادئ الهوية؛ خاصة ما تعلق بالأحوال الشخصية الإسلامية. وقد أطلق المؤرخون على هؤلاء عدة تسميات أبرزها: النخبة الإندماجية؛ النخبة الحداثية، النخبة الليبرالية.

ظهرت النخبة الليبرالية كنتيجة لسياسة فرنسا التعليمية الرامية إلى محاولة تكوين نخبة جزائرية ذات فكر غربي، تكون همزة وصل بين الإدارة الإستعمارية والجزائريين، إضافة إلى مساعدتها على نشر فكرها وثقافتها وسط المجتمع الجزائري. وقد تأثّرت النخبة الليبرالية بمبادئ الفكر الليبرالي الغربي وشعارات الثورة الفرنسية "حرية؛ مساواة؛ أخوة".

ونظرًا للثّقافة الغربية التي اكتسبتها عناصر النخبة الليبرالية فقد جعلت الإندماج مطلبا رئيسيا للدخول في الحضارة الفرنسية والتمتع بحقوق المواطنة الفرنسية، وقد طغى الطّرح الإندماجي على المسار السياسي للنخبة الليبرالية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وإلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.

فكيف كانت مواقف النخبة الليبرالية اتجاه مسألة الإندماج؟ وهل شكّلت موقفًا واحدًا من الإندماج؟ أم أنّها اختلفت في طريقة اكتساب المواطنة الفرنسية؟ وما مآل الخطاب الإندماجي في ظِل تطوّرات الحركة الوطنية الجزائرية خلال فترة الحرب العالمية الثانية؟.

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى نجاح الأطروحة الإندماجية للنخبة الليبرالية الجزائرية في ظل تغيّرات السّاحة السياسية الجزائرية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من ظهور التيارات السياسية ما بين داع إلى الإصلاح والمساواة؛ وداع إلى الإستقلال. في خِضم هذه التحوّلات رَفعت النخبة الليبرالية مطلب الإندماج كحل لمعاناة الشعب الجزائري.

1- مفاهيم الدراسة:

أ/ مفهوم الإندماج Assimilation:

- **لغة**: هو الرّغبة الذاتية في التوحّد مع الآخر[1].

- **اصطلاحا**: يأتي الاندماج عن طواعية ومن غير شعور-أحيانا- من ذوي النّفوس الحائرة الضعيفة[2].

وقد ظهر الخطاب الإندماجي في الجزائر نتيجة لظروف طارئة على المجتمع الجزائري، حيث كان نتيجة مباشرة للإستعمار الفرنسي في الجزائر، وكان ميلاد الخطاب الإندماجي بعد احتلال الجزائر سنة 1830، وأيضا بعد تكوين نخبة من المجتمع الجزائري في المدرسة الفرنسية لأهداف مختلفة أرادها الاستعمار؛ منها إيجاد وسيط بين الإدارة الفرنسية في الجزائر وبين السكان الجزائريين[3].

وكان تبلور أفكار منتِجي الخطاب الإندماجي بشكل واضح بداية من بعض أعضاء جماعة النخبة التي نادت بالإندماج، إلّا أنّ الأفكار الاندماجية ظهرت بشكل ميداني سنة

1- أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص89.

2- البصائر، 28 نوفمبر1949، ص 03.

3- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص88.

1919 بسبب حملة الإنتخابات البلدية؛ إذ كانت المعركة قائمة تحت شعار مع أو ضدّ الإندماج، وخلالها أعلنت صحيفة الأمير خالد "الإقدام" أنّ كل متجنّس في الجزائر لا يمكنه أن يكون نائبا -بشرف- عن الجزائريين[4].

أثارت قضية الإندماج جدلا واسعا، وكثُر حولها الحديث إبّان الفترة الإستعمارية بين أفراد النخبة في الحركة الوطنية الجزائرية. ويعود ذلك بالأساس إلى علاقة الإندماج بمقدسات الجزائريين وعاداتهم وتقاليدهم، فالإندماج الذي كان يريده الإستعمار يشمل كل مجالات الحياة والاجتماعية والسياسية وحتى الدينية. ويهدف إلى قطع الصّلة بشكل كلّي مع ماضي الأمة الجزائرية الحضاري والروحي واللغوي، وكان يستهدف أيضا الفرد الجزائري كوحدة مستقلة عن باقي السكان الجزائريين[5].

ب/ مفهوم الإدماج Intégration :

- **لغة**: يعني الضّم بالقوة؛ دون أدنى مراعاة للمضموم أو المُدمَج[6].

- **إصطلاحا**: سياسة الإدماج يسلكها المتسلِّط الغالب ويتّخذها سلاحا لإدماج غيره في كيانه بقتل جميع خصائص ذلك الغير من تقاليد وتراث قومي[7]. ويرتكز الإدماج على نظريتين؛ أولهما نظرية القوة، وثاني نظرية فتكون مُعَدّة أساسا ومُهيّأة للإستخدام والإستغلال في المكاتب العربية، وبناءً على هذه النوايا فقد تمّ إنشاء المدارس الفرنسية الإسلامية؛ والتي أصبح طلبتها هدفًا للإدماج.

ينطلق الإدماج من فكرة التجنّس كوسيلة وحيدة لإنقاذ الانسان الجزائري من الجهل والأمية والتّخلف من جهة، ومن جهة ثانية حصول الجزائري المتجنس على بعض الحقوق المدنية[8].

وحسب الطاهر الغول فإنّ الإدماج يتفرّع إلى مفهومين، حسب تعريف كل من الطرف الجزائري والطرف الفرنسي.

- **أولا**: مفهوم الإدماج لدى الكولون يعني محاولات المستوطنين الأوروبيين وسعيهم من أجل إلحاقهم بالنظم والقوانين الداخلية المعمول بها في فرنسا، واستفادتهم من حقوقهم الوطنية، كمواطنين فرنسيين بأرض الجزائر.

4- نفسه، ص88.

5- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية1871-1962 مشارب ثقافية وايديولوجية (المجلد 02)، منشورات التحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص87.

6- أحمد حمدي، المرجع الأسبق، ص 89.

7- البصائر، 28 نوفمبر1949، ص 03.

8 - أحمد حمدي، المرجع السابق، ص92.

- **ثانيا**: مفهوم الإدماج لدى الجزائريين يعني سعي النخبة الجزائرية المتفرنسة؛ ونضالها بهدف تمكين شعبها من الإستفادة من الحقوق التي يتمتّع بها المستوطنون في ظل حكم الدولة الفرنسية[9] وقوانينها المدنية.

وحسب أبو القاسم سعد الله فإنّ ظهور الإندماج الخاص بالجزائريين بدأ مع مجيء لجنة جول فيري، حيث لاحظ هذا الأخير وجود جزائريين طالبوا بالحقوق وآمنوا بالتّقارب بين فرنسا والجزائر عبر الإندماج في المجتمع الفرنسي ومن أسماء هؤلاء نذكر[10]: أحمد بن بريهمات[11]؛ الطيب مرسلي[12] ثم إسماعيل حامد[13]؛ أحمد بوضرية(الحفيد)[14]؛ بن التهامي[15]؛ الشريف بن حبيلس[16]؛ طالب عبد السلام[17]؛ عباس بن حمّانة[18].

9- الطاهر الغول، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية1919-1954، رسالة ماجستر، قسم العلوم الإنسانية، جمعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، 2013-2014، ص ص80-81.

10- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 01)، ج06، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1998، ص ص 370-371.

11- **أحمد بن بريهمات**: وُلد بالجزائر العاصمة، ودرس بها، ودخل المدرسة السّلطانية قبل إلغائها سنة 1871، وتخرج مترجما عسكريا. كان من المتجنّسين ومن مؤيدي السياسة العلمانية في التعليم، ساعدته ثقافته المزدوجة على الإطّلاع على تراث العرب وحضارة الفرنسيين. ورغم اعتدال بن بريهمات؛ إلّا أنّ حماسه نحو النهضة والبعث جعله من رواد النخبة الإندماجية أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر. في مقابل ذلك جعلته أصوله العائلية وغيرته على التّراث العربي الإسلامي والمفاخرة بالماضي صوتا من الأصوات المحافظة. ترك بن بريهمات إبنًا سار على نهجه في الظاهر؛ على الأقل في الثقافة المزدوجة، وابنه هذا هو زروق من أطباء العاصمة أوائل القرن العشرين، وكان هذا الأخير يكتب مقالات في جريدة "كوكب إفريقيا" حول صحّة العائلات الجزائرية. أنظر: نفسه، ص ص 249-253.

12- **الطيب مرسلي**: طبيب جزائري من وهران، انتقل للعمل في قسنطينة، كان من أعيان قسنطينة الموقّعين على عريضة 1891 المقدمة للجنة جول فيري. تزوج من فرنسية وأخذ الجنسية الفرنسية بمقتضى مرسوم سيناتوس كونسيلت 1865 . وكان من دعاة الإندماج، حيث قال:"علينا أن نكون فرنسيين بالمشاعر والقلوب، نحن الذين تربّينا على نفس المقاعد كالفرنسيين الصغار". كما كان لمرسلي عدة مؤلفات أبرزها: "المسألة الأهلية"؛ طرح من خلاله ما يخص الجزائريين كالتمثيل البرلماني والحقوق والضرائب والقوانين الإستثنائية. كذلك كان عضوا في نادي "صالح باي". أنظر: نفسه، ص ص 231-232.

13- **إسماعيل حامد**: ولد في 4 أوت 1857 بالجزائر، عمل عسكري مترجم في الجيش الفرنسي منذ 1877، ثم تقاعد سنة 1913. كان يكتب في المجلة الإفريقية ثم مجلة العالم الإسلامي، ألّف كتابا معنونا بـ: المسلمون الفرنسيون بشمال إفريقيا" سنة 1906، دعا فيه إلى سياسة الإندماج والتفرنس، وشايع فيه سياسة جول كامبون وشارل جونار. نشر حامد عدة أبحاث منها:"الأدب العربي الصحراوي"؛ " الحضارة العربية في إفريقية الوسطى"؛ "ناصر الدين"؛ "المدن الصحراوية". كما قام بمهمات

للسلطات الإستعمارية في المغرب الأقصى وإفريقية، ونشر انطباعاته عن المغرب الأقصى في المجلة الإفريقية، وكان من الرواد للإستشراق الفرنسي في المغرب، وأيضا للإدارة. أنظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06...، المرجع السابق، ص ص233-235.

14- **أحمد بوضربة (الحفيد)**: ولد بالجزائر العاصمة سنة 1868، تجنّس بالجنسية الفرنسية، وتقلّد عدة مناصب؛ منها قيادته للوفد الجزائري للمطالبة بحقوق الأهالي الجزائريين سنة 1908. أنظر: جغلول عبد القادر، الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قسطون، ط01، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص39.

15- **بلقاسم بن التهامي**: وُلد بمستغانم سنة 1881، درس الثانوي في مستغانم ثم كلية الطب بالجزائر العاصمة منذ 1897؛ وجامعة مونبليي الفرنسية بداية من 1905. من رواد حركة الشبان الجزائريين، متحصل على الجنسية الفرنسية في إطار مرسوم 1865 القاضي بمنح الجنسية الفرنسية بشرط التخلي عن مبادئ الدين الإسلامي. كما ترأس فيدرالية المنتخبين المسلمين التي تأسّست في سبتمبر 1927. أنظر: Cheurfi Achour, La classe politique Algérienne de 1900 à nos jours dictionnaire biographie ,2édition, casbah éditions, Alger, 2001, p98.

16- **الشريف بن حبيلس:** من الرواد الأوائل في حركة الشبان الجزائريين، حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون، وعضو في نادي صالح باي بقسنطينة. ألف كتابا بعنوان:"الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي"؛ دعا من خلاله إلى الإندماج التّام في المجتمع الفرنسي. كما شغل في وظيفة القضاء لفترة من الزمن. أنظر : Ibid, p212.

- 17**طالب عبد السلام**: من مواليد 21 أوت 1882 بتلمسان، شغل نائبا لرئيس حركة الشبان الجزائريين، انتُخب مستشارا عاما لتلمسان ما بين 1923 إلى غاية 1928 ثم من 1934 إلى غاية 1945، بعدها مندوبا في المندوبيات المالية ممثّلا لتلمسان بداية من 1935 إلى غاية 1945. أنظر: Jacques Bouversse, un parlement colonial? Les délégations financières algérienne 1898-1945 le déséquilibre, Tome :01, publications des universités de Rouen et du havre, 2007, p 975.

18 - **عباس بن حمانة**: من رواد الحركة الوطنية في الجزائر. رافق الوفد الجزائري الى باريس (1912) ليطالب بإلغاء التجنيد الإجباري، وأنشأ في تبسة (1913) الجمعية الصديقية الخيرية للتربية الإسلاميه والتعليم العربي والإصلاح الإجتماعي، كما أنشأ في نفس السنة مدرسة قرآنية؛ فلم يَرق ذلك لغلاة الإستعمار، فحلّوا الجمعية، وأغلقوا المدرسة بعد ستة أشهر من تأسيسها. بعدها دسّوا إليه من اغتاله بضربة فأس. ولأبي اليقظان قصيدة في رثائه منشورة في جريدة الفاروق في العدد 73 بتاريخ 03 أوت 1914. أنظر: نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط02، 1980، ص123.

وعموما فالإدماج هو عملية تقوم على نشر ثقافة المستعمر الفرنسي بين السكان الأصليين من خلال تبنّي القيم الفكرية والثقافية للثقافة الجديدة، وبهذا يتم تحقيق التجانس بين المستوطنين والأهالي الجزائريين. بعدها يمكن للفرد المندمج أن يحصل على الجنسية الفرنسية؛ وبالتالي يتمتّع بصفة المواطنة الفرنسية وما يرتبط بها من حقوق يمارسها[19].

2 - مفهوم السياسة الإدماجية الفرنسية:

تندرج السياسة الإدماجية ضمن عدد من القوانين والمراسيم التي سنّتها الإدارة الإستعمارية في الجزائر دون مراعاة لتقاليد وعادات وديانة المجتمع الجزائري. وهو كما ادّعت السلطات الفرنسية ينطلق من فكرة التجنّس كوسيلة لإنقاذ الإنسان الجزائري من الجهل والأمية والتخلف من جهة، ومن جهة ثانية الحصول على بعض حقوق المواطنة الفرنسية[20].

رافق الإدماج وبقوة جحافل الغزو الفرنسي من خلال مجموعة من القوانين والمراسيم، أولها قرار 22 جويلية 1834 والذي نصّ على أنّ الجزائر أرض فرنسية. وقد سمحت تلك القوانين للمستوطنين بالتوسع والاستقرار على حساب أراضي الجزائريين والمطالبة بالمساواة مع فرنسيي فرنسا الأم(الميتروبول)، أمّا بقية المناطق فقد بقيت تحت الحكم العسكري؛ خاصة مناطق الجنوب الجزائري[21].

ويذكر أبو القاسم سعد الله في هذا السياق أنّ مصطلح الإدماج يعني تطبيق النُّظم والقوانين السّارية في فرنسا على فرنسيي الجزائر، وما يرتبط بها من قوانين إدارية والتعليم والإنتخاب، وعليه فقد سعت الجمهورية الفرنسية الثانية منذ عام 1848 إلى ربط المصالح الإدارية في الجزائر بمثيلاتها في الميتروبول، ويخصّ هذا فرنسيي الجزائر دون غيرهم من الأهالي الجزائريين الذي كان يُطبَّق عليهم الحكم العسكري التّابع لوزارة الحربية الفرنسية[22]، ومع بداية حكم الجمهورية الثالثة بدأت ملامح السياسة الإدماجية تتّضح بشكل جلي؛ من خلال العمل على مضاعفة الإتّصال بين الأوروبيين والسكان

19- منغور أحمد، الإدماج والتجنيس في أدبيات فيدرالية قسنطينة الإشتراكية فيما بين الحربين تجديد في المشروع أم تغريد خارج السرب، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. 2017، ص235.

20- صافر فتيحة، مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الإندماجية، مجلة عصور الجديدة، العدد16-17، أبريل 2014-2015، جامعة وهران1(أحمد بن بلة)، الجزائر، ص333.

21- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص89.

22- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص368.

الأصليين بغرض التّحضير لانصارهما[23]، وذلك لأجل أن يصبح المجتمع الجزائري متفرنسًا في هويته ونُظمه السياسية والإقتصادية والإجتماعية[24]. وبشكل عام فإن السياسة الإدماجية تعني:"تحويل المواطن الجزائري ماديًا ومعنويًا ليصبح شبيهًا لمثيله في فرنسا"[25].

كما سمح القرار المشيخي الصادر في 22 أفريل 1865 بمنح الجزائريين الجنسية الفرنسية شريطة أن يتخلّوا عن أحوالهم الشخصية، وقد استهدف بصفة خاصة الفئة المتعلّمة في المدراس الفرنسية، إلّا أنّه لم يستجب منها إلا فئة قليلة، تلك الفئة التي شكلت مجموعة منتِجي الخطاب الإدماجي إلى جانب المجنَّدين الرّاغبين في التّرقية العسكرية[26].

رأت فرنسا أنّ التعليم هو أفضل وسيلة لتحقيق سياسة الإدماج، فعملت على القضاء على ثقافة المجتمع الجزائري من لغة وشخصية؛ من أجل سيطرتها على الوضع وتركيز نفوذها في البلاد، وبهذا يَتقبل السكان النّظام الجديد ويَرضون به خاصة في المدن، وأكّد أحد المسؤولين الفرنسيين :"أنّ بناء مدرسة أفضل من فيلقين لإقرار الأمن"، وكان المستوطنون يتخيّلون أنّه بفضل التعليم يتم مزج العناصر البشرية المختلفة عبر اختلاط الأطفال في المدارس، وهكذا تكون وِحدة شاملة بين شعبين مختلفين[27].

3 - ظهور النخبة الليبرالية الجزائرية:

تُعتبر المدرسة الفرنسية من أهم الوسائل التي اعتمدتها الإدارة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر بغرض تخريج فئة جزائرية ناطقة باسمها متأثِّرة بثقافتها ومبادئ ثورتها؛ عن طريق "تلقين حضارتها وعاداتها وجميع معارفها لشباب؛ سيكُونون وسطاء نافعين بين الإستعمار وبين بقيّة السّكان الجزائريين الأصليين"[28] سياسيا وثقافيا،

---

23 - Hilbert Isnard, Aux Origines du nationalisme Algérien, in annales, economies, soiétés civilisations, n° : 04, 1949, p464

24- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص197.

25- مالكي امحمد، الحركات الوطنية في المغرب العربي (المجلد 06)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص157.

26- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص92.

27- الحمري محمد، التشريع الفرنسي في الجزائر واثره على الحياة الإجتماعية والدينية والثقافية ما بين 1870-1920، رسالة ماجستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، رسالة ماجستر، ص 61.

28- ريسلير كيميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830-1962، ترجمة: نذير الطيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، دب، 2016، ص193.

وتساهم في بسط النفوذ الفرنسي ونشر حضارته[29]، تكون قادرة على تقبُّل واستيعاب شروط الإستعمار؛ ومؤهَّلة للدفاع عنه لصيانته وبقائه في الجزائر[30]، ومتقبّلة للنموذج الحضاري الفرنسي. ويدعم هذا الرأي ما عبّر عنه أحد الجزائريين المندمجين وهو "جان عمروش" في محاضرة ألقاها بالمعهد الفرنسي بباريس عندما قال: "إنّني أقصد بالجزائري المندمج نموذج إنسان أُمثّله أنا أحسن تمثيل على ما أعتقد، وهو الذي اتخذ أسلوب الحياة الفرنسية وضوابط التفكير الفرنسي، والتي تُعتبر اللغة الفرنسية بالنسبة إليه ليست لغة ترجمة فقط، ولكن لغة تعبير بلغ من عمق رسوخها أن أصبحت طبيعية له"[31]، وفي هذا بيان واضح على مدى تأثر النخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية بالثقافة الفرنسية من لغة وطريقة العيش.

مثَّلت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محطّة هامّة من تاريخ النضال السياسي الجزائري، فخلال هذه المرحلة بدأت بوادر ظهور نخبة جزائرية مختلفة عن سابقيها من النخب من خلال دعوتها الصريحة إلى الاندماج ضمن الأمة الفرنسية والأخذ بعلومها وحضارتها، وتكتّل الكثير من هؤلاء ضمن حركة الشبان الجزائريين، والتي ضمّت في صفوفها توجهات مختلفة ذات ثقافة مشتركة نابعة من الفكر الليبرالي الغربي والثورة الفرنسية الداعية إلى إعطاء الحقوق والمساواة دون تمييز عرقي أو ديني، ولعلّ أهم وصْف لهذه الفئة ما جاء في الصحافة الأوروبية قولها "إنّنا نلتقي بشباب من الأهالي ألسنتهم فصيحة وتبدي لباقة جريئة، وهم نتاج مدارسنا الإبتدائية، بل ثانوياتنا وكلياتنا، ويحدث أن ينتهي المطاف بهؤلاء الشباب الدُّهاة الذين نشأوا منذ أمد طويل على سذاجة الروميين إلى إبهار الواحد منّا بعبارات من مقاطع فرنسية؛ وهي ذكريات دروس تعلّموها على مقاعد المدرسة؛ بل إنّ الطلبة هم الذين يقرأون المجلات الفرنسية؛ ويكرّرون بكل سهولة ملاحظات هذا الناقد أو ذاك حول آخر رواية أو آخر مسرحية مؤثّرة"[32]، كما عرّفها أحد المثقفين المنتمين إليها قائلا :"ثريات الشبان الجزائريين

29- نفسه، ص234.

30- مالكي امحمد، المرجع السابق، ص145.

31- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999، ص 266.

32- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، ج01، دار الأمة، الجزائر، 2011، ص104.

المتخرّجين من الجامعات الفرنسية، الذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين "[33].

بدأت ملامح هذه الفئة المتخرجة من مختلف المؤسسات التعليمية الفرنسية تظهر مع مطلع القرن العشرين، كنتيجة لِما كانت تقدّمه لهم المدرسة الفرنسية داخل بيئة ثقافية فرنسية مما أدى إلى ظهور جزائريين متأثرين بالحضارة الفرنسية وثقافتها، من الحاملين لشهادات علمية من التعليمين الثانوي والجامعي الذين تفتّحوا على الليبرالية[34]. وهذا انعكس على مطالبهم، بين داع إلى الارتماء في أحضان الاستعمار والتجنس بجنسيته حتى لو أدى بهم ذلك إلى تخليهم عن هويتهم، وفئة أخرى من المثقفين درست في نفس المدرسة الفرنسية إلى غاية المرحلة الجامعية، دعت إلى مسايرة الحضارة الغربية والأخذ من علومها دون التخلي عن هويتهم؛ خاصة ما تعلق بالأحوال الشخصية للدين الإسلامي. بدأت هذه النّخب التعبير عن نفسها عن طريق حركة "الشبان الجزائريين" التي انحصر طموحها في مساواتهم مع المستوطنين الفرنسيين في الجزائر، معتمدة في ذلك على انتمائها الثقافي للغرب وولائها الإيديولوجي له بالإضافة إلى القوانين الفرنسية[35].

عرّف الباحث عبد الله حمادي التيار الليبرالي بأنّهم الذين اعتنقوا الثقافة الفرنسية منهجا وعقيدة مع تبنّي القطيعة الشاملة منهجا وعقيدة مع مقومات أمّتهم الجزائرية سواءً عن طريق الإندماج أو عن طريق تبنّي الديانة المسيحية، أو بواسطة التجنس بالجنسية الفرنسية، أو ركوب اللائكية الملحدة، وقد تبنّى هذه الأخيرة عناصر محدودة كبلقاسم ابازيزن الذي تخلى عن اسمه العربي وأصبح يعرف باسم أوغسطين[36].

وهكذا فإنّ سياسة فرنسا التعليمية قد نجحت بشكل عام في تكوين نخبة جزائرية متأثرة بأفكارها وثقافتها. كما تأثرت بمبادئ الثورة الفرنسية 1789 في جانبيها السياسي والثقافي، وما دعت إليه من مبادئ الحرية والمساواة والأخوة، وعليه فقد عمل هؤلاء على محاولة ترقية شعبهم إلى مصاف تلك المبادئ الثورية من أجل خلاصهم من هيمنة

---

33 - benhabiles chérif, l'algérie française vue par un indigène, orientale, alger, 1914, p 104.

34 - Hilbert Isnard, Op.cit, p 465.

35- بن قينة عمر، المشكلة الثقافية في الجزائر النتائج والتفاعلات (المجلد 01)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص 34.

36- حمادي عبد الله، المرجع السابق، ص79.

الإحتلال الفرنسي[37] القائمة على سياسة التفرقة العنصرية بين المستوطنين وسكان البلد الأصليين الذين تم حرمانهم من أبسط الحقوق مقابل تمتّع كتلة المعمرين بكافة الامتيازات؛ إذ أنّ عناصر النخبة الليبرالية لم يرفضوا وجود فرنسا أو وصايتها عليهم؛ وإنما كانوا يطالبون بالمساواة السياسية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وكذا تقليص حيّز التمييز العنصري ومنح الحريات، كما عبّروا لمجتمعهم مقابل ذلك عن استعدادهم لترقيتهم واحتضان مبادرة رقيّهم نحو الحضارة[38].

وعموم القول فإن تيار النخبة الليبرالية تشكل من توجهين، أحدهما دعا إلى تبني النموذج الفرنسي والإندماج في المجتمع الجزائري ومسايرة المجتمعات الغربية للخروج من حالة التخلف، لكن مع الحفاظ على إطارهم الديني خاصة ما تعلّق بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وقد مثل هذا التوجه فرحات عباس وبن جلول خاصة خلال الفترة ما بين الحربين إلى جانب بعض النواب المنتخبين، أمّا التوجه الثاني فكان هو الآخر من مؤيدي سياسة الإندماج في المجتمع الفرنسي بشكل كلّي؛ حتى لو طُلب منهم التخلي عن هويتهم وحضارتهم العربية الإسلامية، وقد كان المعلمون الأهالي المتخرجون من مدرسة بوزريعة يشكلون أغلب أنصار هذا التوجه، أمثال رابح زناتي وسعيد فاسي وغيرهم من المتجنّسين.

4 – الخطاب الإندماجي لدى النخبة الليبرالية:

أ/ تيّار المتجنّسين:

ينتمي أغلب عناصر هذا التيار إلى فئة المعلِّمين الذين أثّروا بمواقفهم على مسيرة النخبة الليبرالية خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها، وقد مثّلوا فئة على حدى داخل الشبّان الجزائريين، تشبّعوا بمبادئ العلمانية التي تلقّوها في المدرسة[39]، وقد كان هذا التيّار ثمرة ونتاج الظاهرة الاستعمارية خاصة المدرسة الفرنسية الإستيلابية وجهود الآباء البيض في مجال التبشير والتنصير[40].

37- بخاري حمانة، فلسفة الثورة الجزائرية (المجلد 01)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص85.

38- دويدة نفيسة،المسألة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية الجزائرية 1927-1945. أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للاساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009-2010، ص271.

39- kaddache mahfoud, histoir du nationalisme algérien 1919-1939, Tome:02, edif, Alger, 2000, p 216.

40- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص97.

من أبرز عناصر هذا الجناح نذكر: سعيد فاسي[41]؛ طاهرات[42]؛ ليشاني[43]؛ جان عمروش[44]؛ رابح زناتي[45]؛ ابن الحاج[46]؛ سعيد بوليفة[47]؛ بلقاسم إبازيزن[48]؛ حسني لحمق[49]، وينتمي أغلبهم إلى منطقة القبائل[50].

41- **سعيد فاسي**: مؤسّس جريدة صوت المستضعفين، ومدرس وعضو في رابطة حقوق الإنسان. أنظر: Fanny Colonna, Instituteurs Algériens 1883-1939, Paris, presses de la fondation nationale des sciences politiques , 1975, p 192.

42- **العربي طاهرات**: من مواليد عام 1896 بمنطقة القبائل، اشتغل معلما في قسنطينة، يُعتبر من العناصر البارزة في جمعية المعلمين الجزائريين الأهالي، ساهم في تأسيس مجلة "صوت المستضعفين" (La voix des humbles) ،التي أصبح رئيسها عام 1931 ،وكان نائب رئيس "جمعية المواطنين الفرنسيين الأهالي" (L'association des citoyens d'origine indigènes) التي كان يرأسها الطيب مرسلي. التحق طاهرات بالحزب الإشتراكي SFIO ، ثم انتخب مستشار بلدي تحت مظلة فيدرالية المنتخبين لعمالة قسنطينة ضمن قائمة الدكتور بن جلول. وكان من العناصر التي ساهمت في إنشاء المؤتمر الإسلامي الجزائري، حيث تميّز بنشاط كبير في تشكيل فروع المؤتمر داخل عمالة قسنطينة، كما ساهم في تشكيل ما عُرف بالشبيبة الإسلامية الجزائرية. أنظر: Oran républicain, 01 juin 1937.

43 - **سعيد ليشاني**: من مواليد 15 ماي 1893 بمنطقة القبائل، تخرّج من مدرسة بوزريعة لتكوين المعلمين، ثم انخرط في الحزب الإشتراكي SFIO منذ تخرجه معلما، كانت له مساهمة في تأسيس جمعية المعلمين الجزائريين الأهالي، وساهم أيضا في تأسيس مجلة صوت المستضعفين، وفيها نشر العديد من المقالات. أنظر: Gallissot René, dictionnaire biographique du movement ouvrier Maghreb, édition barzakh, Alger, p 420.

44 - **جان (جون) عمروش** : كاتب وروائي وشاعر جزائري من أصول قبائلية، يَكتب باللّغة الفرنسية اسمه الحقيقي الموهوب عمروش، ولد لأسرة قبايلية أمازيغية تحوّلت للمسيحية. وجُون لقَّبه به أحد الآباء الفرنسيين الذين ترعرع بينهم. ولد سنة 1906 في ايغيل علي ولاية بجاية وتوفي في 16 أفريل 1962 في باريس. من مؤلفاته: "ديوان الرّماد" و"أغاني". شارك مع الوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان: https://.wikipedia.org. اطُلِع عليه في 23 سبتمبر 2022.

45- بن حسين كريمة، المتجنسون، مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 30 ، المجلد أ ، ديسمبر 2008، ص129.

46 - **ابن الحاج**: رئيس نادي الإخاء، أعلن في خطبة بمدينة الجزائر سنة 1933 أنّ النادي "مفتوح لكل من يريد أن يعمل في سلام واتفاق وإخاء، ذلك الإخاء الذي يجب أن يوحد كل أبناء فرنسا". كما عمل مدرّسا، وكان من النخبة الداعية للإندماج في فرنسا. أصبح من زعماء النخبة خلال انعقاد المؤتمر

كان المتجنّسون يميلون إلى تبنّي النموذج الفرنسي والدفاع عن سياسة الإستيعاب التّام. كما كانوا يأملون في رؤية مجتمعهم يتطوّر في إطار الثقافة الفرنسية، متأثّرين في ذلك بالمُثل العليا للجمهورية الفرنسية "الحرية، المساواة، الإخاء"، هذه المُثل التي أصبحت عندهم عقيدة[51].

يعتبر رابح زناتي وسعيد فاسي من أبرز ممثلي هذا التيار، حيث نجدهما يطرحان توجّهاتهما الفكرية وأساليب تحقيق الإندماج في فرنسا عبر تأليف مؤلفات لأجل ذلك، منها الكتاب الذي نشره سعيد فاسي سنة 1936 بعنوان "الجزائر تحت الرعاية الفرنسية وضدّ الإقطاعية الجزائرية"، ظهر من خلاله متأثِّرا بالثورة الفرنسية وداعيا إلى الإندماج، أمّا رابح زناتي فقد كان له نفس التوجه من خلال نشره كتابا مسلسلا عبر مجلة Afrique françaises سنة 1938 ؛ معنونا ب"المشكل الجزائري كما يراه أحد الأهالي"، تطرّق فيه

الإسلامي الجزائر في 1936. وذهب ضمن وفد المؤتمر إلى باريس. أنظر: سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1930، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط04، 1992، ص ص 61-62.

- 47**سعيد بوليفة**: اسمه الأصلي عمر بن سعيد؛ امتهن كباقي عناصر النخبة الإندماجية التعليم طيلة حياته تقريبا، أرسلته الإدارة الإستعمارية سنة1904 إلى المغرب لدراسة اللّهجات البربرية وجمع المعلومات الإجتماعية، خلّف عدة مؤلفات أدبية مثل : كتاب تاريخ جرجرة، جمع مجموعة من الشعر الزواوي ونشرها سنة 1904، بالإضافة إلى عمل ثالث وهو " توفيقي أو قانون عدني. أنظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، ج 06...، المرجع السابق، ص ص 58-61.

48- **بلقاسم ابازيزن**: محامي؛ مُلقّب بـ "أوغسطين"، من دعاة الإندماج التّام في فرنسا، نفى وجود ماضي تاريخي لمنطقة القبائل، وأكّد أنّ رغبة الشبيبة القبائلية هي التفرنس الكامل، وأنّ القبائلي ليس له ماضي تاريخي ومخلفات ثقافية تخالف التاريخ الفرنسي؛ بل إنّ التاريخ الفرنسي سيجعل من القبائلي بطلا فرنسا. أنظر: Gey Perveille, les étudiants algériens de l'université française 1880 1962 , préface de mohamed harbi , casbah éditions , Alger ,1997, p214.

- 49 **حسني لحمق**: صاحب كتاب" رسائل جزائرية" (Lettres Algériennes)، كان هذا الكتاب بيانا بربريا لسرد مآثر الشعب البربري الذي أنجب حسب الكاتب يوغرطة وماسينيسا وسانت أوغسطين. كما اعترف لحمق أنّ مستقبل فرنسا في الجزائر يمثّله العنصر البربري. أنظر: آجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير1954، ترجمة: محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، ج02، الجزائر، دار الأمة، 2013، ص550.

50 - Léon Antoine, Colonisation, Enseignement et éducation, editions l'harmattan , Paris , 1991, P192.

51 - Kaddache Mahfoud et Sari Djilali, L'algerie dans l'histoire, Alger, 1989, p 25.

إلى سياسة فرنسا في الجزائر واقترح أساليب تحقيق الإندماج، من خلال تبيانه للعوائق التي رأى أنها تقف حاجزا أمام الإندماج كالمعتقد الديني وعدم الاهتمام بالتعليم الذي اعتبره أمثل طريقة لتحقيق اندماج المجتمع الجزائري[52].

كانت الجرائد أداة رئيسية للتعبير عن آرائهم وطروحاتهم ومواقفهم، من ذلك جريدة "صوت المستضعفين (la voix des humbles)[53] لمؤسِّسها المعلم سعيد فاسي المنخرط في الحزب الإشتراكي الفرنسي، أمّا إدارتها فكانت برئاسة المعلم الإشتراكي العربي طاهرات[54]، أمّا عن إيديولوجية رابطة المعلمين فيمكن تلخيصها في ثلاث صيغ:"بعيدا عن الأحزاب، بعيدا عن العقائد، من أجل تطوّر السّكان الأصليين ودمج الأجناس في إطار السيادة الفرنسية"[55]، اعترفت جريدة صوت المستضعفين في عددها الأول باستمرارية السيادة الفرنسية قائلة:"إنّ الأهالي الخاضعين والمحترمين للسلطة الفرنسية لا يطلبون إلا العيش في سلام..."[56]. كانت جريدة صوت المستضعفين تعكس آمال والبرنامج الاجتماعي للفئات الوسطى التي تعلّمت في المدارس الفرنسية؛ وهم الذين كانوا يُسمون بلغة العصر المتطورون(Evolués) [57].

تمثَّل برنامج جريدة صوت المستضعفين في الدعوة إلى سياسة الإرتباط والتعاون بين الأوروبيين والجزائريين مع الحفاظ على العلاقات المستمرة لحماية مصالحهم وأمنهم "إن التقارب بين الأجناس وانصهارهما في رأينا العاملان الأساسيان لسلام البلد وازدهاره"[58].

52- لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف 1920-1954، كوكب العلوم ، الجزائر ، ط01، 2009، ص 48- 49.

53- **la voix des humbles** (صوت المستضعفين): أنشأها المناضل الإشتراكي سعيد فاسي، ظلّت تصدر بانتظام حتى عام 1939، سُحب منها حوالي 3000 نسخة، جمعت رجال مثقفين وموهوبين أمثال طهرات، بلحاج، لشاني، زناتي وأحمد بومنجل؛ بالإضافة إلى كتاب مثل الحاج حمو وجان عمروش. أنظر: آجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير1954، ...، المرجع السابق، ص512.

54- بن حسين كريمة، المرجع السابق، ص130.

55 - Antoine leon, Op.cit, p192.

56- قداش محفوظ، المرجع السابق، ص106.

57- أكسيمينكو فلاديمير، الأنتلجنسيا المغاربية المثقفون أفكار ونزاعات، ترجمة : عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، الجزائر، 1984، ص68.

58 -Fanny Colonna, Op.cit, p190.

كما أسّس رابح الزناتي جريدة أخرى عام 1929 عنوانها "صوت الأهالي" (La voix des indigènes)[59]، دافعت بلا كلل عن سياسة الإندماج وعن قيم المدرسة اللّائكية الجمهورية ما بين 1929-1942[60].

من جانب آخر تكتّل المعلمون الأهالي في جمعية أسموها: "جمعية المعلِّمين من أصول أهلية"، أسّسها المعلم بوهران سعيد فاسي عام 1922؛ بسبب التمييز الممارس ضدّهم من طرف نقابة المعلمين الأوربيين، إلا أنّ تنظيمهم لم يكن ذا طابع سياسي؛ حيث اكتفى بالدفاع عن الحقوق الإجتماعية والمهنية للمعلمين الأهالي والمطالبة بمعاملتهم مثلما يعامَل المعلم الأوروبي وعدم التمييز بينهم[61].

مثّل الإندماج لدى هذه الفئة النخبوية الحل الوحيد الذي يجمع بين المصالح العليا للمجموعتين الفرنسية والجزائرية، من أجل تغيير المسلم الجزائري وذوبانه في المجتمع الفرنسي" فكما أنّ هناك شعب غالو-الروماني ذو الثقافة الرومانية، سيكون هناك شعب فرانكو مسلم ذو ثقافة فرنسية"[62] ، ودعا أفرادها إلى الإندماج الكلي، فقد كتب حاج حمو في 1933 "أحلم بالجزائر الفرنسية إلى الأبد...أنا من مؤيدي المساواة والقانون العام المطلق، على الأقل لصالح نخبتنا في انتظار ولادة الجزائر وهي منطقة فرنسية تماما وكليا..."[63].

أمّا المدرس ابن الحاج فأكّد خلال كلمة افتتاح نادي الإخاء سنة 1933:"أننا جميعا وقبل كل شيء فرنسيون، فوطننا هو فرنسا والعلم الذي نعيش تحته هو العلم المثلث". وقال أيضا في مناسبة أخرى:"إنّ الجزائريين فرنسيون؛ سواءً كانوا يتمتعون بالحقوق أم لا وسواء كانوا متعلمين أم أُميين...فديننا لا دخل له في جنسيتنا التي هي ولا يمكن أن تكون سوى فرنسية"[64]. أمّا رئيس المندوبيات المالية شريف سيسبان فقد صرح عند استقباله رئيس الجمهورية الفرنسية دوميرغ قائلا: "إنّ الأهالي لا هدف لهم غير الإندماج أكثر فأكثر في الأمة الفرنسية العظيمة، إنّ الجزائر فرنسية بسكانها الخمسة ملايين

- 59 لونيسي رابح، المرجع السابق، ص48.

60- آجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ترجمة: محمد حاج مسعود وعبد القادر بلعربي، ج02، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص512.

61- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص48.

62 - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص272-273.

63 - Gey Perveille, Op.cit, p217.

- 64 سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1945-1930، ج3 ...، المرجع السابق، ص61.

المرتبطين أبديا بفرنسا"[65]، ومنهم من دعا إلى نبذ العنف والتوفيق بين الشعبين، فقد جاء في جريدة صوت الأهلي[66] مقالا بعنوان "من أجل الجبهة الفرنسية"؛ قال فيه:"تحريض السكان الأصليين يُفقد الثقة، لنضع صفحة جديدة من الماضي، بما أنّ الإتفاق لم يتحقق بعد بين عنصري البلد. ودعونا ندرك أنّ الإثارة غير صالحة للإتحاد المثمر، ولنعترف أيضا أن الفرنسيين في الجزائر من جميع الفئات مستعدين عموما لقبول إصلاحات مقبولة. دعونا نستفيد من هذه الثقة في التوفيق لإنشاء الجبهة الفرنسية الأهلية"[67].

كما دعا رابح زناتي[68] الذي اعتنق الفكر الليبرالي في توجهه الأكثر تطرفا عبر مقالاته إلى الإندماج التام والحتمي بين الكتلتين الأوروبية والمسلمة، حيث مثلت الجزائر عنده صورة مستعمرة مقهورة لأنّ أهاليها لم يصبحوا فرنسيين. دافع رابح زناتي باستماتة لأجل رؤية الجزائر إحدى المقاطعات الفرنسية المكتملة الحقوق، وأمضى حياته ينتظر تحقيق اندماج الجزائريين في ركب المجتمعات الأوروبية المتطورة[69] .

وفي مقال له بعنوان "الجزائر لم تَعد مستعمرة" ذكر أنّ: "...الإختلافات القليلة في الأخلاق والدين التي ستبقى لبعض الوقت لن تقاوم تأثير التقارب المنهجي أو التسامح...أو سيتم سحق الآراء الفلسفية أو الدينية الأكثر تنوعا"، وفي مقال آخر موسوم ب "الشريعة الاسلامية" طالب بتكييف الدين مع متطلبات الحياة العصرية " فالشريعة

65- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص326.

66- **صوت الأهلي**: أسّسها رابح زناتي عام 1929، استمرت في الصدور إلى عام 1946، لم تختلف عن صوت المستضعفين في طروحاتها وأفكارها، فكان شعارها: جريدة الإتحاد الفرنسي-الإسلامي، وعنوان افتتاحية عددها الأول: "يجب أن تصبح الجزائر فرنسية". أنظر: رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 48.

67 - la voix ingigènes, 28-10-1936) .

68- **رابح زناتي**: من أبرز رجال النخبة الجزائرية التي تنتمي إلى التيار الليبرالي الأكثر تطرفا نظرا لمواقفه التي أصدرها وأفكاره السياسية المدافعة عن فكرة الإندماج الكلي داخل الأسرة الفرنسية المتحضّرة. تميّز بجرأته في الطرح وعدم المواربة والتمادي إلى أقصى الحدود الممكنة في التصدي لتلك الأفكار المعارضة والمعادية لأفكاره. أنظر: نفيسة دويدة، رابح زناتي ومشروع الاندماج المرجعيات والأسس1877-1952. آفاق وأفكار، العدد07، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2016، ص 119.

69- نفسه، ص ص 124-125.

الإسلامية القرآنية ليست مادة ميتة؛ وأنّه يجب أن تكون قادرة على التكيّف مع ضرورات الحياة الحديثة.." [70].

كان المتجنسون يرون أنّ الدين قضية ضمير شخصي وليس منظِّما لحياة الشعوب، وفي هذا المعنى صرّح شريف بن حبيلس:"التجنس هو فعل مقبول من حيث المبدأ من قبل كل هذه النخبة التي يتم فيها اختزال الشعور الديني إلى مسألة ضمير فردي بحتة"[71]، وفي هذا السياق اعتبر المعلم المتقاعد سعيد فاسي أنّ الاسلام لا وجود له في الجزائر، وأنّ الأهالي الجزائريين لا ينكرون السيادة الفرنسية عليهم ولا يتهربون منها، كما أنّهم يعتبرون أنفسهم فرنسيين[72]، ودعا أيضا إلى الإندماج، وأظهر مدى تأثره بتاريخ الثورة الفرنسية[73]، ممّا جعل الأهالي ينظرون إليهم باعتبارهم مرتدين عن الإسلام نظرا لقبولهم التجنس والتخلي عن عقيدتهم، ومناداتهم بالزواج المختلط[74].

وُجِد من بين أفراد هذا التيار من أنكر تاريخ الإسلام في الجزائر؛ فهذا بلقاسم إبازيزن الذي صرح: "إنّ المسيحية هي المذهب الوحيد الذي يعطي الشباب القبائلي الكرامة لشخصيتهم...لأن الجزائر المسيحية لطالما كانت وراء الجزائر الإسلامية". وقال أيضا سنة 1930: "الشباب القبائلي يرغب في الفرنسة"؛ ويفسِّر ذلك بالأسباب الإثنية:"القبائل ليست سامية"[75]، وهناك من دعا إلى فرنسة منطقة القبائل وتنصيرها وجعلها تابعة إلى فرنسا وإدماج الأقلية البربرية في المجتمع الفرنسي، ممّا يهدد الوحدة العربية الإسلامية للأمة الجزائرية[76]؛ عبْر نشر أفكار مغلوطة عن أصولهم بدعوى أنّها لاتينية، واعتبار الفتوحات الإسلامية غزوًا لبلادهم، لذلك دعت نخبة من ذوي الأصول البربرية إلى ضمّ البربر روحا وجسدا إلى فرنسا. لعدة اعتبارات دينية، إثنية وحتى حضارية[77].

---

70 - A.W.O, carton 2261, i21, 31 mars 1940, (presse la voix indigène, N°: 502, pp 2-3.

71 - Pervillé Gey, Op.cit, p215.

72- kaddache mahfoud, Op.cit, p 217.

73- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص48.

74- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج03...، المرجع السابق، ص167.

75 - Pervillé Gey, Op.cit, p214.

76- بن حسين كريمة، المرجع السابق، ص138.

77- صافر فتيحة، المرجع السابق، ص337.

رغم التطوّرات التي عرفتها الحركة الوطنية الجزائرية خاصة بعد فشل المؤتمر الإسلامي وسقوط الجبهة الشعبية، ورفْض المشروع الإندماجي لبلوم فيوليت، وتأثيرات قيام الحرب العالمية الثانية على الطبقة السياسية؛ من هزيمة فرنسا التي كانت لا تقهر، ونزول الحلفاء وانتشار ميثاق الأطلسي الداعي إلى تحرّر الشعوب، إلّا أنّ عناصر هذا التيار بقيت على توجّهها وأفكارها الداعية إلى التجنّس والاندماج في الأسرة الفرنسية؛ إذ صرحت جريدة صوت الأهلي عقب صدور مرسوم ديغول في مار س 1944، في إحدى مقالاتها قائلة "المواطنة التي ستُمنح للجزائريين هي بمثابة شرف لابد أن نحافظ عليه في كل وقت، بالأمس كان الأهالي في وضع أقل من الفرنسيين في المجال السياسي، وسيتساوون معهم.. فهل سينسون بأنّ الفرنسيين كانوا أسيادهم، وأنّه عليهم أن يسيروا في طريقهم من أجل تعلم المزيد"[78]. إلا أنّ تنازلاتهم وتأييدهم للفرنسيين لم يحقق من مطالبهم الإندماجية شيئا، حيث بقيت مجرّد دعوات على صفحات جرائدهم.

كما لقي خطاب هذا التيار معارضة شديدة من قبل عتاة المستوطنين، وباء بفشل ذريع؛ ليبقى محصورا في نهاية المطاف في فئة قليلة من المستوطنين أنفسهم، وتتحدّد أُسسه في دمج الجزائر بالوطن الأم؛ باعتبار أنّ أرض الجزائر امتدادا لأراضي فرنسا، وكانوا يقدِّمون لذلك التشبيه البليغ القائل أنّ: "البحر الأبيض المتوسط يَشقّ فرنسا مثلما يَشق نهر السين باريس"[79].

وبناءً على هذا لم يعد لخطاب الإندماج من وجود إلا خلال الحملات الانتخابية أو عند بعض غلاة المستوطنين الذين كانوا يرون أنّ المجتمع الجزائري ينقسم إلى طبقتين: طبقة ذات ثقافة فرنسية تشبّعت بالثقافة الفرنسية وبمبادئها الحضارية والفكرية، هذه الطبقة أضحت قابلة للإدماج، أمّا الطبقة الثانية فهي طبقة همجية بربرية ينبغي الحذر منها وتشديد مراقبتها، وذلك لأنها غير قابلة للتمدن والتحضر، بل وبقائها على حالها أمر ضروري لأجل استخدامها في الأعمال المنحطة واستصلاح الأراضي الصعبة وغيرها من الأعمال، وأيضا هي وقود للحروب التي قد تدخل فيها فرنسا[80].

من جهة أخرى كان هناك فئة من النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية والمتأثرة بالفكر الليبرالي، من التي لم تتنكّر لأصولها ومبادئها الوطنية، حيث دعت إلى نيل الحقوق والمساواة مع الأقلية الفرنسية في إطار المبادئ الإسلامية للجزائريين، وهي التي

78 - la voix indigène, 10-01-1944.

79 - أحمد حمدي، المرجع السابق، ص93.

80- نفسه، ص ص 93-94.

يطلق عيها اسم تيار "الإندماج الجزئي" الذي مثّله بنسبة كبيرة النواب المسلمين المنتخبين في مختلف المجالس.

ب/ تيار النواب المنتخبين:

على عكس التيار الأول الذي مثّله بنسبة كبيرة فئة المتجنّسين، فإنّ هذا التيار مثّله بنسبة كبيرة النواب المنتخبون في مختلف المجالس البلدية والعمالية والوفود المالية الذين أسسوا فيدرالية المنتخبين المسلمين سنة 1927. وقد تلقوا تعليما عاليا في المدارس والجامعات الفرنسية مثل محمد بن جلول وفرحات عباس وسعدان وعلي بومنجل ومحمد عزيز قسوس[81]. ويُعتبر كل من فرحات عباس وبن جلول من أبرز أقطاب هذه التيار، إلا أنّ اتحادية النواب المنتخبين انقسمت سنة 1930 الى ثلاث اتحاديات:

- إتحادية النواب المسلمين العامة برئاسة زروق مُحَي الدين.
- إتحادية النواب المسلمين القسنطينية برئاسة شريف سيسبان.
- إتحادية وهران برئاسة بن عودة باشتارزي[82].

يُعتبر هذا التيار أيضا نتيجة لنجاح المدرسة الفرنسية التي تمكّنت من إحداث الطلاق المنشود بين التلميذ ومحيطه الثقافي والحضاري مع البقاء على الإسلام في أضيق معانيه وتقليصه إلى الشعائر الدينية مع التمسّك بالأحوال الشخصية[83].

ما يُميز عناصر هذا التيار أنّهم حاولوا التوفيق بين مبادئ الحضارة الإسلامية وقيم الثورة الفرنسية وحضارتها، فدافعوا عن الإسلام في وجه السياسة العنصرية للإستعمار[84]، كما دعا أفراده إلى الإندماج في الحضارة الفرنسية والأخذ بعلوم الغرب دون المساس بعقيدتهم التي تنكّر لها أنصار الإندماج التام. تحدّث أحدهم قائلا:"إنّ الجزائر فرنسية ونحن فرنسيون؛ مع احتفاظنا بقانون الأحوال الشخصية"[85]. كان دعاة

81- لونيسي رابح، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ط02، كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ص95.

82- أحمد حمدي، المرجع السابق، ص100.

83- نفسه، ص98.

84- لونيسي رابح، التيارات الفكرية...، المرجع السابق، ص43.

85- عباس فرحات، الشاب الجزائري، ترجمة: أحمد منور، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، 199.

الإندماج الجزئي يدعون إلى المساواة بين المعمرين والجزائريين، أو كما يقول فرحات عباس"العدالة للجميع، هذا هو المبدأ الأساسي للسياسة الإسلامية، إذا أردنا للجزائريين أن يكونوا في قلب فرنسا"، وقال في مقام آخر "إنّ المثل الأعلى هو أن تصبح فرنسا من قِبل ستة ملايين شخص أول قوة إسلامية ...لا يوجد في كتابنا المقدس ما يمكن أن يمنع الجزائري المسلم من أن يكون مواطنا فرنسيا..."[86]. تمحورت دعوة فرحات عباس إلى مساواتهم مع الفرنسيين في حقوق المواطنة وعدم التمييز بين المجتمعين، وهو ما دعا إليه في كتابه "الشاب الجزائري" الذي ألفه سنة 1931، وممّا جاء فيه "إنّ سياسة المساواة في الحقوق هي الوحيدة التي يمكنها أن تفتح أملًا في مستقبل مشترك، أمّا الإحتفاظ بسياسة الغالب والمغلوب فهي تؤدّي إلى الطلاق وتؤدّي إلى الكارثة"[87]. وصرّح في اجتماع عام بحضور وزير الداخلية الفرنسي مارسيل ريني عند زيارته الى الجزائر سنة 1935 قائلا:"لم يبق هناك شيء في هذه البلاد يَحُول دون الإتفاق على تطبيق سياسة الإدماج وإذابة العنصر المحلي في المجتمع الفرنسي"[88]. وقد حدّد فرحات عباس أهم مبادئه النضالية المرتبطة بهويته دون نكران لأصالته وماضيه. والتي نُلخِّصها في النقاط التالية:

- ✓ إحترام مبادئ الشخصية الإسلامية للجزائريين من لغة ودين.
- ✓ التخلّي عن خرافة التفوق الجنسي.
- ✓ تعتبر سياسة المساواة بين الجزائريين والمستوطنين وحدها الكفيلة بضمان مستقبل مشترك.
- ✓ على الشباب الجزائري أن يكون حافز تطوّر المجتمع الإسلامي، وينفض عنه غبار الخمول والركود، حتى يصبح هذا المجتمع مجتمعا عصريا، آخذًا بأسباب المدنية الحديثة، إنّ جميع الشعوب تصبوا إلى اقتفاء أثر أوروبا دون أن تضرب بمدنيتها عرض الحائط أو تتنكّر لتقاليدها، إنّ هذه الشعوب في حاجة إلى دولة أوروبية تكون لها بمثابة صِلة الوصل بين الماضي والحاضر، دون أن تطمع في استيعاب الشعوب

---

86 - Mahfoud Kaddache, Op.cit, P227

87- العقون عبد الرحمن، ج01، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر1920-1936، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص335

88- بوعزيز يحي، سياسة التسلّط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص95.

المستضعفة، و يتمنى الشباب الجزائري أن تكون هذه الدولة هي فرنسا، وأن تصبح الجزائر وباريس ملتقى المثقفين العرب، لأجل انبعاث العالم الإسلامي[89].

أمّا صديقه بن جلول فقد دعا هو الآخر إلى ضرورة الإتحاد بين سكان الجزائر باختلاف أديانهم وأعراقهم حيث يقول "أيها الإخوة المسلمون، دعونا ننسى خصوماتنا ونتحد ليس فقط فيما بيننا، ولكن أيضا مع جميع أولئك الذين عاشوا في هذا البلد تحت رعاية العَلم الفرنسي، واتحاد جميع الفرنسيين إلى أي عرق وديانة ينتمون إليها؛ فرنسيين؛ مسلمين؛ يهود، من أجل المستقبل الأكبر لفرنسا الكبرى، مثل هذا سيبقى شعارنا الأكبر"[90]، وفي سياق ذي صلة أكّد أنه فرنسي الجنسية:"الشيوعية، الجامعة الإسلامية، ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين المتناقضتين... وإذا كانت لدينا وطنية أفليست هي فرنسية لحما ودما[91]".

كما جاءت مطالب بن جلول بجريدة الميدان لتؤكد توجهه الإندماجي المحافظ على الشخصية الإسلامية حيث كتبت:"لا يزال الزعيم المحبوب الدكتور بن جلول ماضي العزيمة، قوي الإرادة ثابت على مبدئه، مطالبا الحكومة الفرنسية بحقوق الأمة الجزائرية المسلمة التي تجعل المسلم الجزائري متساويا في جميع الحقوق مع الفرنسي، كما هو قائم بجميع الواجبات للحكومة الفرنسية"[92]. وعليه فإنّ مطالب بن جلول لم تخرج عن نطاق الإندماج والمساواة وإعطاء الحقوق، فقد صرحت نفس الجريدة: "لقد كنا نعتقد أنّ عهد المقاومات السخيفة مضى، وجاء عهد المواجهة الشعبية التي تعود فيه المياه إلى مجاريها الطبيعية، ويفوز فيها كل صاحب حق بحقه وتخفق فيه راية العدل والمساواة، والإعتراف بحقوق الإنسانية على رؤوس أبناء الجزائر المسلمين الذين قاموا بجميع الواجبات"[93]. كما أكّد بن جلول على تمسّكه بعقيدته الإسلامية قائلا :"إنّني لا أطلب

89- عباس فرحات، ليل الإستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص91.

90 - A.N.O.M, 9h45, rapport sur la fédération des elus musulmans, P23.

91- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج03...، المرجع السابق، ص ص 71-72.

92 - جريدة الميدان، 04-08-1937.

93- جريدة الميدان، 04-08-1937.

الكفر لأمتي؛ ولست بكافر وأنني مسلم صميم، لأنّني لا أؤمن بجنسية الفرنسي؛ ولكن جعلتها وسيلة لتحرير الشعب الجزائري"[94].

كان هذا الجناح من النخبة الليبرالية متعلّقا بفرنسا ومدنيّتها والشّعارات المثالية لثورتها دون التنصل من ماضيه وتراثه، إذ عملت على اقناع الجزائريين للالتحاق بفرنسا، واقناع فرنسا من أجل أن تعتبرهم مواطنين فرنسيين ومسلمين في الوقت نفسه، وتحمّست إلى التجنس بالفرنسية، بحجة أنّ الدين أمر ذاتي يخص الفرد وليس له علاقة بالمجتمع المدني[95]، وظلّت تلح على ضرورة تطوير الشعب الجزائري، بحيث يصبح للفرد الجزائري الحق في اكتساب المواطنة الفرنسية والتمتع بمزاياها[96].

في سياق ذي صلة دعا أنصار هذا التيار إلى تبني النموذج الفرنسي في الدولة، يتمتّع فيها شعبه بالمساواة وإعطاء الحقوق، حيث بَيّن فرحات عباس طبيعة الدولة التي كان ينشدها بأنه "ينبغي أن لا تكون سلطنة إسلامية ولا دومنيونا يكون للأوروبيين فيه حق الإحتكار المطلق؛ بل ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديمقراطية اجتماعية قائمة على أساس اتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسيتهم وديانتهم أو على أساس إعطاء كل ذي حق حقه"[97]، بمعنى أنّ عباس كان يسعى لتحقيق دولة في إطار القوانين الفرنسية، يتمتّع فيها الجزائريون بمزايا المواطنة ومساواتهم مع الفرنسيين، دون المساس بمبادئ شخصيتهم الوطنية. كما دعا إلى النهوض بالمجتمع الجزائري في كتابه "الشاب الجزائري من المستعمرة إلى المقاطعة "، وأيضا إلى تعليم الجزائريين، وربطهم اقتصاديا وإداريا بفرنسا المركزية، مع توجيه اهتماماتهم بالمنجزات الفرنسية[98].

عَرف هذا التيار خلال الحرب العالمية الثانية تطوّرات بارزة في مواقفه اتجاه الإندماج في الأمة الفرنسية، وقد تصدر النخبة الليبرالية خلال فترة الحرب فرحات عباس الذي بدأ في الإبتعاد عن توجهاته السابقة فيما تعلق بالمطالبة بالإندماج مع الحفاظ على مبادئ الشخصية الجزائرية خاصة الدين الإسلامي.

94- بكار محمد، الدكتور محمد الصالح بن جلول، رسالة ماجستر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1 (أحمد بن بلة)، الجزائر، (2007-2008)، ص326.

95- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص84.

96- حميطوش يوسف، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص352.

97- رابح لونيسي، التيارات الفكرية...، المرجع السابق، ص146.

98- فرحات عباس، الشباب الجزائري...، المصدر السابق، ص108.

ومن مظاهر بداية ابتعاد فرحات عباس عن أفكاره السابقة الداعية للإندماج احتجاجه على نشاط فيدرالية نواب قسنطينة ومدحها للحاكم العام ولنظام فيشي وتأييدها لسلطة الإستعمار دون مقابل، وهو ما جعله يستقيل منها بصفته نائبا لرئيس الفيدرالية أوائل شهر أوت 1941، كما قدّم أيضا الدكتور سعدان استقالته منها بصفته عضوا فيها، ولتأكيد انفصاله طلب عباس في شهر ديسمبر 1941 من الحاكم العام أن يرخص له بإنشاء جريدة جديدة[99].

إنّ ابتعاد فرحات عباس عن الفيدرالية سيجعله يبدأ في تعلم الوطنية؛ والتي ستتطور وتنتزعه من أحلامه الأولى وتقوده تدريجيا إلى التصور الفيدرالي بل والاستقلالي، هذه الصفات المختلفة تُظهر بوضوح مسيرة عباس من المستعمرة إلى المحافظة فالمساواة فالجمهورية[100]، في مقابل هذا بدأ دور ابن جلول وأتباعه من النخبة يتراجع[101].

بهذا أصبح فرحات عباس بعد عودته من جبهات القتال الناشط الوحيد على الساحة السياسية؛ وهو جعله يتصدّر المشهد السياسي في ظل غياب معظم قادة الحركة الوطنية الجزائرية الذين اضطهدتهم حكومة فيشي ومنعت جرائدهم من الصدور. قام عباس بعدة مبادرات من خلال تقديم مطالب باسم الجزائريين في شكل رسائل وتقارير بعثها إلى المسؤولين الفرنسيين.

تعتبر سنة 1943 تاريخا فاصلا في مواقف تيار الاندماج الجزئي وخاصة زعيمه فرحات عباس من خلال ما ورد من مطالب في وثيقة بيان فيفري 1943؛ فأوّل ما يتضح للقارئ هو اقلاعه عن سياسة التّفرنس، وفضْح السياسة الاستعمارية شر فضيحة، والتنويه بالمقاومة الشعبية البطولية التي واجهها الإستعمار خلال قرن وربع القرن، وتصوير الحالة المزرية التي آل إليها الجزائريون من الفقر والحرمان وفقْد أراضيهم،

99- أوعامري مصطفى، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني 1939-1945، رسالة ماجستر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران1 (أحمد بن بلة)، الجزائر، 2001، ص74.

100- الشيخ سليمان، الجزائر تحميل السلاح، ترجمة: محمد حافظ الجمالي (الإصدار 01)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص41

101- بوعبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919-1962، مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006/2005، ص102.

والرضوخ المطلق للمستعمرين حتى أصبح الجزائري وكأنّه دخيل في أرض وتراب أجداده[102].

وباختصار شديد يمكن القول أن بيان فيفري يمثّل انقلابا جذريا في مواقف النواب الذين كانت فرنسا ترى أنّها صنعتهم صنعا وجعلت منهم حسب تعبير عباس عبيدا طائعين وعملاء خاضعين، وإذا بهم بين عشية وضحاها فَلتوا من قبضة الاستعمار وعادوا إلى الطريق الصحيح وانضموا إلى الحركة الوطنية[103].

كما يلاحَظ أيضا مدى تطور الفكر السياسي عند النخبة الليبرالية وعلى رأسها فرحات عباس، ولا يتردد لحظة واحدة في التنويه بشجاعته، وهو الذي قام بنفسه في مدة عشر سنوات من النشاط بتحطيم شخصيته القديمة؛ والتي كانت لا تعرف أمة لها غير الأمة الفرنسية، ولا لغة غير الفرنسية، ليصنع شخصية جديدة تؤمن بسيادة الجزائر كأمة مستقلة، وداعية إلى جعل اللغة العربية لغة رسمية في الجزائر[104].

اعتبر البيان أنّ الإندماج السياسي طرح خاطئ، ووَهْم لازَم السلطة الفرنسية حينا من الدهر، حيث اتضح في النهاية أنّ الإندماج ما هو إلا سراب وأسطورة يستحيل تطبيقه كونه يتعارض مع حقائق الشعب الجزائري ومع المؤسسات الإستعمارية في الجزائر[105]، كما استنكر سياسة الإدماج مذكِّرا بالإختلافات الروحية العميقة التي تفصل بين المستوطنين وسكان البلد الأصليين، مؤكدا أنّ الوقت قد فات لأجل أن يقبل الجزائري بأن يكون شيئا آخر غير أن يكون جزائريا[106]، ذلك أنّ الإنصهار الكلي في البوتقة الفرنسية كان من الأمور التي ترفضها السياسة الإستعمارية، إضافة إلى كونه يتنافى مع طبيعة الأمور؛ إذ يصعب إذابة المقومات التاريخية، بحيث أنّ ملامح الشخصية

102- المدني توفيق، حياة كفاح، ج02، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص ص 515-516.

103 - رخيلة عمار، 08 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص43.

104- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب صالح وصالح المثلوثي، موفم للنشر، د.ب، 1994، ص65.

-105 ثنيو نور الدين، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، (الإصدار01)، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2015، ص 457.

106- العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط06، 1993، ص306.

الجزائرية تبلورت أكثر وتوضّحت قسمات المجتمع، وتبلورت الشّخصية القاعدية للأمة الجزائرية ضدّ مشاريع الإستعمار الفرنسي في الجزائر[107].

مع تأسيس حركة أحباب البيان والحرية تأكّد ابتعاد فرحات عباس عن الفكر الاندماجي، حيث وعد على لسان الحركة بأنّهم سيعملون على توزيع الثروات على الفلاحين والبروليتاريا الوطنية، وأنّهم يقفون ضدّ الاقطاعية والطبقات الممتازة، وأنّ هدفهم هو إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا بعد أن تتحرّر من الفكر الاستعماري والإمبريالي، كما وصف قرار ديغول بأنّ الأحداث قد تجاوزته، وأنه مجرد خلاصة لمشروع فيوليت، وأن كل الجزائريين رفضوه ما عدا فئة قليلة من النواب الموالين للإدارة الفرنسية الذين أيّدوا القرار[108].

إلّا أن ما يظهر من خلال مطالب الحركة أنّ عباس أضاف لمرجعيته الفكرية التقليدية التي ترتكز على أفكار الثورة الفرنسية ومبادئ الجمهورية الثالثة، أفكارا جديدة كان قد استمدها من دعاية الحلفاء خلال الحرب والتي تقوم على حقوق الإنسان وتقرير مصير شعوب المستعمرات، وفي المقابل إعلانه عن القطيعة النهائية مع أفكار الإدماج، من خلال ابتعاده عن أفكار المنتخبين الذين رفضوا الإنضمام إلى البيان وحركة أحباب البيان نظرا لراديكاليته واقترابه من المصالية التي يهابونها[109].

خاتمة: في الأخير يمكننا أن نخلص إلى الإستنتاجات التالية:

- ✓ أنّ النخبة الليبرالية ظهرت كنتيجة لسياسة فرنسا الإستعمارية الرّامية إلى إيجاد فئة جزائرية غريبة عن مجتمعها في فكرها ولغتها وثقافتها.
- ✓ دعت النخبة الليبرالية إلى تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية في الجزائر من حرية ومساواة وأخوة.
- ✓ رأت النخبة الليبرالية أنّ تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية يمثّل الحل الأمثل لمعاناة الشعب الجزائري من سياسة الظلم والإضطهاد والتمييز العنصري التي تمارسها الإدارة الفرنسية في الجزائر إلى جانب غلاة المستوطنين.

107- نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص457.

108- أبو القاسم سعد الله، الحرجة الوطنية، ج03...، المرجع السابق، ص223.

109- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص102.

✓ إنّ نظرة الإستعلاء الفرنسية جعلت فرنسا ترفض إدماج المجتمع الجزائري في الأمة الفرنسية، ظنًا منها أنّ الجزائريين لا يمكنهم الدخول في الحضارة الفرنسية.

✓ كانت مسألة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية سببا رئيسيا في انقسام النخبة الليبرالية إلى جناحين؛ جناح أيّد الإندماج المؤدي بصاحبه إلى الخروج من دائرة الشرع الإسلامي، وجناح ثاني رفض التخلي عن الأحوال الشخصية مقابل اكتساب الجنسية الفرنسية.

✓ كان لتطوُّر الحركة الوطنية الجزائرية دورا بارزا في تراجع الأطروحة الإندماجية خلال الحرب العالمية الثانية.

✓ لقد أدى تلاحم الشعب الجزائري وتمسكه بمبادئه الوطنية إلى إفشال مشروع فرنسا الإدماجي، وعودة بعض عناصر النخبة الليبرالية إلى الصف الوطني بعد أن كانت من أبرز الداعين إلى الإندماج، ومثال ذلك فرحات عباس.

قائمة المراجع العربية:

1. آجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير1954، ترجمة: محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، ج02، الجزائر، دار الأمة، 2013.
2. أوعامري مصطفى، رسالة ماجستر غير منشورة، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني 1939-1945، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران1 (أحمد بن بلة)، الجزائر، 2001.
3. بكار محمد، الدكتور محمد الصالح بن جلول، رسالة ماجستر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1 (أحمد بن بلة)، الجزائر، 2001.
4. بن حبيلس الشريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة، عبد الله حمادي وأخرون، المسك، دب، 2012.
5. بن حسين كريمة، المتجنسون مواقفهم أفكارهم طموحاتهم، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد أ (30)، ديسمبر2008.
6. بن قينة عمر، المشكلة الثقافية في الجزائر النتائج والتفاعلات، (الإصدار 01). الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2000.
7. بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، (الإصدار 02)، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1984.
8. بوعبد الله عبد الحفيظ، فرحات عباس بين الإدماج والوطنية1919-1962، رسالة ماجستر ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005-2006.
9. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
10. ثنيو نور الدين، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، (الإصدار 01)، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2015.

11. جريدة البصائر. (28 نوفمبر 1949).
12. جريدة الميدان، ع 07، 04أوت1937.
13. جغلول عبد القادر، الإستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قسطون، ط01، دار الحداثة، بيروت، 1984.

14. حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب صالح وصالح المثلوثي، موفم للنشر، دب، 1994.
15. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1999.
16. حمادي عبد الله، الجركة الطلابية الجزائرية1871-1962 مشارب ثقافية وايديولوجية، (الإصدار 02)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
17. حمانة البخاري، فلسفة الثورة الجزائرية (الإصدار 01)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
18. حمدي أحمد، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001.
19. الحمري محمد، التشريع الفرنسي في الجزائر وأثره على الحياة الإجتماعية والدينية والثقافية ما بين 1870-1920 ، رسالة ماجستر ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2004-2005.
20. حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001.
21. حميطوش يوسف، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، دار الأمة، الجزائر، 2012.
22. خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين 1900-1930 دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002-2003.
23. دويدة نفيسة، المسألة الثقافية في الجزائر من منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية الجزائرية 1927-1945، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2009-2010.
24. دويدة نفيسة، رابح زناتي ومشروع الاندماج المرجعيات والأسس1877-1952. آفاق وأفكار، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد07، 2016.
25. رخيلة عمار، 08 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
26. ريسلير كيميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها1830-1962، ترجمة: نذير الطيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، دب، 2016.
27. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
28. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية1900-1930، ج02، ط04، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
29. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، ط01، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

30. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، ط01، 1830-1954، (الإصدار 01)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
31. شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
32. الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، ط01، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.
33. صافر فتيحة، مواقف النخبة الجزائرية من سياسة فرنسا الإندماجية، عصور الجديدة، جامعة وهران1، الجزائر، العدد(16-17)، 2014-2015.
34. عباس فرحات، ليل الإستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005.
35. عباس فرحات، الشباب الجزائري، ترجمة: أحمد منور، الجزائر، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
36. العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، ط06، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993
37. العقون عبد الرحمن، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر1920-1936، الجزائر، ج01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
38. عمري الطاهر، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها فيما بين الحربين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.
39. الغول الطاهر، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919-1954، رسالة ماجستر ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، 2013-2014.
40. الغول الطاهر، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919-1954، رسالة ماجيستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمّة لخضر، الوادي، 2013-2014.
41. قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، ج01، الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2011.
42. لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الإتفاق والإختلاف 1920-1954 ، ط01، كوكب العلوم، الجزائر، 2009.
43. لونيسي رابح، محاضرات وأبحاث في تاريخ الجزائر ط02، الجزائر، كوكب العلوم، الجزائر، 2012
44. ماكسيمينكو فلاديمير، الأنتلجنسيا المغاربية المثقفون أفكار ونزاعات، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 1984.
45. مالكي امحمد، الحركات الوطنية الإستعمار في المغرب العربي، ط06، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.
46. المدني توفيق، حياة كفاح، ج02، الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2012.
47. مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006.

48. منغور أحمد، الإدماج والتجنيس في أدبيات فيدرالية قسنطينة الإشتراكية فيما ين الحربين1919-1939 تجديد في المشروع أم تفريد خارج السرب. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد15. 2017.

49. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر لإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط02، 1980.

قائمة المراجع الأجنبية:

50. A.N.O.M, 9h45, Rapport sur la fédération des élus musulmans.
51. Bouversse Jacques, un parlement colonial? Les délégations financières Algérienne 1898-1945 le déséquilibre, T01, publications des universités de Rouen et du havre, 2007, p975.
52. Gallissot René, dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb, édition: barzakh, Alger, .2007.

53. Chérif Ben Habiles, L'Algérie française vue par un indigènes, orientale, Alger, 1914.
54. Cheurfi Achour, la classe politique Algérienne de 1900 à nos jours dictionnaire biographie, 2édition, casbah éditions, Alger, 2001.

55. Fanny Collona, Instituteurs Algériens 1883-1939, presses de la fondation nationale des sciences politiques, Paris, 1975.
56. Gey Pervillé, les étudiants algériens de l'université Française 1880-1962, préface de mohamed harbi, casbah editions, Alger, 1997.
57. Hilbert Isnard, Aux Origines du nationalisme Algérien, in annales, economies, sociétés civilisations, n°: 04, 1949.
58. Kaddache Mahfoud,T02, Histoir du nationalisme Algérien 1919-1939, édition edif, Alger, 2000.
59. Kaddache Mahfoud; sari djilali, l'algérie dans l'histoire, s.é, Alger, 1989.
60. Léon Antoine, colonisation, enseignement et éducation, Paris, éditions l'hamattan, Paris, 1991.
61. La voix indigène, 1936-10-28 , n386.
62. Oran républicain, 01 juin 1937

63. A.W.O, cartonn2261, i21 31) .mars 1940: (presse la voix indigène.(502) .
64. La voix indigène (10 janvier1944), n571.